

معركة حاسي خليفة 17 نوفمبر 1954 بوادي سوف

أول معارك الثورة التحريرية

د.علي غنابرية. جامعة الشهيد حمه بنخضر - الوادي

ملخص

تعرض هذه الدراسة انطلاق الثورة التحريرية في الجنوب، وتحديدًا في منطقة وادي سوف التي شهدت أول معارك الثورة التحريرية يوم 17 نوفمبر 1954 في منطقة حاسي خليفة بقيادة البطل حمه لخضر، ودامت يومًا كاملًا، استطاع المجاهدون - رغم الإمكانيات البسيطة - تحقيق نتائج باهرة، أبرزها انسحاب المجاهدين من أرض المعركة بسلام، وتكبد العدو خسائر في الأرواح والعتاد، وكانت هذه المعركة إعلانًا عن وجود الثورة في وادي سوف، وثبتت المنطقة في سجل الثورة التحريرية، وأضحت مثالًا لباقي المناطق الجزائرية آنذاك.

Résumé

Cette étude expose le déclenchement de la révolution de libération au sud , à Oued Souf particulièrement qui témoignait la première bataille de la révolution ; le 17 Novembre 1954 à Hassi Khalifa commandée par le héros Hamma Lakhdar, elle a duré une journée complète , les moudjahidines ont pu , malgré les simples possibilités , réaliser de bons résultats notamment le repli des moudjahidines du champ de bataille en toute sécurité et la perte des soldats et de munitions par les ennemis . Cette bataille-là était une annonce de l'existence de la révolution à Oued Souf et cette région est enregistrée dans la mémoire de la révolution de libération , et elle a devenu un exemplaire de toutes les autres régions algériennes à cette époque-là.

المقدمة:

انطلقت الثورة التحريرية ليلة أول نوفمبر وفي ساعة الصفر، بتنفيذ أعمال ثورية متنوعة، وباغتت العدو الفرنسي، الذي لم يتوقع تلك الأعمال والتي انتشرت في خمس مناطق عبر الوطن، وشملت عدة مدن وقرى وبوادي، واستهدفت مواقع الجيش الفرنسي ومزارع المعمرين، وتركت أثرا في نفوسهم، وكانت بداية للفعل الثوري الذي تطور في المستقبل إلى معارك طاحنة، وملاحم ثورية يتحدث عنها التاريخ، وتمثل أسمى معاني المجد في تاريخ الكفاح الوطني.

وإذا كانت منطقة وادي سوف لم تنخرط في تلك العمليات، ولم ينفذ مناضلوها أي عملية في ليلة أول نوفمبر- بتوصية من القيادة - لكونها منطقة إستراتيجية لجلب الأسلحة، فأرادوها أن تبقى هادئة؛ إلا أنها أبت أن تتأخر عن الركب، ونفذ مجاهدوها أول معارك ثورة التحرير بعد مضي سبعة عشر يوما من انطلاق الثورة، وشارك فيها 13 مجاهدا، كبدوا العدو خسائر تمثلت في عدد من القتلى، وجرح احد المجاهدين والقي القبض عليه، بينما انسحب بقية المجاهدين تحت جنح الظلام إلى معازل الثورة في الشمال.

وإشكالية هذا الموضوع، عدم وجود المادة الكافية في المدونات والوثائق، ويتطلب معالجة الوقائع من خلال الروايات الشفوية، والكتابات المحلية، التي تحتاج إلى تمحيص الأخبار، مع تحليل بعض الأحداث وربطها بالعمل الثوري الوطني، كما أن الضرورة تقتضي التطرق لبدء المعارك الفاصلة في تاريخ الثورة، وهل سجلت معارك أخرى في مستوى التراب الوطني، وما هو الفرق بين العمليات العسكرية والمعارك الثورية، والتي تعتبر معركة حاسي خليفة فاتحة خير للثورة الجزائرية في هذا المضمار.

1) العمليات العسكرية للثورة التحريرية في شهر نوفمبر 1954:

اندلعت الثورة يوم الفاتح نوفمبر 1954 في الليلة الصفر، عندما اختفى المجاهدون في جنح الظلام، بمباغثة العدو النائم، ومن أجل حماية أنفسهم وتأمين

انسحابهم، والضرب في عمق العدو بسرعة خاطفة، وتكبيده خسائر في الأرواح والممتلكات، وتم تنفيذ ثلاثين عملية عسكرية في أرجاء الوطن، وتركز معظمها في العمليات التخريبية، أو ما عبر عليه بعمليات (اضرب واهرب)، المتمثلة في مناوشة العدو وإزعاجه.⁽¹⁾

وتنحصر العمليات الأولى التي نفذت في المناطق الخمس - التي بدأت بها الثورة - في الهجومات المحملة التالية:

- هجومات على الثكنات العسكرية، وقوات الدرك الفرنسي، وقوات حراس الغابات، ومقرات الحاكم العام في المدينة، ومقرات القيادة من أعوان الاستعمار.
- هجومات على المنشآت والمرافق الاستعمارية المدنية، مثل السكك الحديدية، وحافلات النقل، ومزارع المعمرين، والمناجم، والمصانع والورشات، وعلى مجمعات توزيع الكهرباء، وأعمدة الهاتف وغيرها.⁽²⁾

وتعتبر المنطقة الأولى (الأوراس) بقيادة مصطفى بن بولعيد - والتي تنتمي إليها وادي سوف - من أهم المناطق التي نجحت في تنفيذ ما خططت له القيادة في الفاتح من نوفمبر 1954، وأهم العمليات التي كللت بالنجاح والتأثير:

اكتساح ثكنتين عسكريتين بمدينة باتنة، وقتل القائد العسكري الفرنسي بجنشلة، وعزل مدينة "آريس" من طرف المجاهدين عن بقية الوطن، وكذلك قرية "تكوت" بالقرب من آريس وتم محاصرة قوات الدرك بها.⁽³⁾

وامتدت خلالها العمليات إلى بوابة الصحراء، مدينة " بسكرة" التي شهدت ست هجومات خاطفة على المواقع التالية:

استهداف الهجوم المحوري " ثكنة سان جرمان" التي كان يعسكر بها لواء رماة السنغال، وهجوم مباغت على الحرس المتنقل، وعلى محطة القطار، ومركز الشرطة، ومحطة توليد الكهرباء، وتم إلقاء قنبلة حارقة على محل النجارة فاشتعلت به النيران، واستمر إطلاق النار ما يقرب من عشرين دقيقة. وبعد انسحاب المجاهدين، رد العدو بطائرات طائشة بأثمة، وقد خلف الثوار في صفوفه الهلع والفرع.⁽⁴⁾

أما المناطق الأخرى ولاسيما (الثالثة والرابعة) فإنها أشعلت الفتيلة ليعلم المستعمر أن الثورة معمة في أنحاء البلاد، ثم اهتمت بتنظيم شؤونها، ونشر الوعي في المناضلين لمواجهة مخططات المستعمر الذي استهدفهم بشدة. (5) ولكن المنطقة الخامسة بوهرا وضاوحها، كانت عملياتها في ليلة الفاتح من نوفمبر أقل نجاحا، واستهدفت مطار طفراوي بوهرا لإضرام النار فيه ولكن العملية لم تنفذ، كما استهدفت الاستيلاء على الأسلحة من الثكنة 66 للمدفعية بحمي الكمين بوهرا.

(6)

ويومئذ تمكنت فرنسا من إلحاق خسائر بالمجموعات التي قادها محمد العربي بن مهيدي، بل استشهد - في اليوم الرابع - نائبه رمضان بن عبد المالك. وترك ذلك أثرا في نفس القائد الذي اتصل بالعاصمة تارة، وبالمغرب الأقصى تارة أخرى بحثا عن الأسلحة والوسائل التي تمكنه من تجاوز محنته، (7) وتحذير الثورة في منطقتيه الإستراتيجية.

والجدير بالذكر، ورغم التفاوت في حجم العمليات العسكرية وتأثيرها، فإن العدو اعترف بها، ولكنه حاول التقليل من الخسائر التي تكبدها، وقد صرح بذلك الحاكم العام للجزائر روجي ليونار، وما ورد في تصريحه: (حدث أثناء الليل مناطق مختلفة من الأرض الجزائرية، وعلى الأخص في شرق قسنطينة بمنطقة الأوراس، عدة عمليات حربية مختلفة بلغ عددها الثلاثين عملية، قامت بها فرق صغيرة من الإرهابيين أسفرت عن مقتل ضابط وجنديين من حراس الليل بمنطقة القبائل، وكذلك أطلق الرصاص على مناطق الجندرة، وألقيت بعض القنابل الحارقة، المصنوعة محليا، ولكنها لم تسبب أضرارا سوى في مخازن شركة الحبوب بالبليدة وبوفاريك وشركة سليتاف للحديد والفلين بمنطقة القبائل...) (8)

ولكن الثورة اتخذت اختيارا مناسبا، لمواطن القتال المستقبلية، التي حصرت في الأدغال والغابات والجبال التي تصلح لحرب العصابات، وتركز على نصب الكمائن التي لا تطلب إلا عددا محدودا من المجاهدين، ومدة الاشتباك تكون قصيرة، حتى تكسب الوقت في الانسحاب من الميدان بأمان، وحتى تفوت

الفرصة على العدو، فلا يتمكن من الاستنجاد بقوات الدعم والإسناد⁽⁹⁾، وربما يتحول الاشتباك إلى معركة حقيقية، لأن الغرض الأساسي من تلك العمليات، يكمن في بث الرعب في صفوف العدو، والحصول على السلاح، وهذا لم يبق هدفاً في بقية الشهور من عام 1954، والمعارك التي وقعت في تلك المرحلة، لم يخطط لها أصحابها، بل فرضتها الظروف، أثناء سعي المجاهدين لجمع السلاح، وهذا الذي حدث بوادي سوف، عندما خاضت دورية المجاهدين معركة حقيقية يوم 17 نوفمبر 1954 بحاسي خليفة، وتميزت عن العمليات العسكرية المباحثة التي سبق ذكرها.

والجدير بالتنويه أن منطقة الاوراس شهدت في تلك الآونة اشتباكات عديدة مع العدو، ما بين 5 إلى 13 نوفمبر في معارك ايشمول، وفم الطوب وغيرها، ولكن اشتباك 18 نوفمبر كان الأكثر فاعلية،⁽¹⁰⁾ كما أن المعركة التي وقعت بالقرب من ثنية الرصاص بوادي عبدي يوم 29 نوفمبر، واعتبرت منعطفاً حاسماً في العمليات الحربية في الاوراس، إذ جعلتها فرنسا نصراً كبيراً لقتلها القائد بلقاسم قرين ومن معه من المجاهدين،⁽¹¹⁾ اثر الهجوم الذي شنته فرق المضلين المدعمة بالطائرات على تلك المجموعة التي قادها الشهيد في جبال شلية، وهي تدخل ضمن العمليات العسكرية للجيش الفرنسي من 17 إلى 30 نوفمبر 1954، وشارك فيها أكثر من 5000 عسكري فرنسي. وتزامنت بدايتها مع معركة حاسي خليفة بوادي سوف.

2) الأهمية الإستراتيجية لمنطقة وادي سوف في الثورة التحريرية:

تعتبر منطقة وادي سوف من المناطق الموعلة في الصحراء، المفتوحة الأطراف - الجنوبية الشرقية - على دولتي تونس وليبيا، وقد شهدتا معارك أثناء الحرب العالمية الثانية، وخلفت العدد الكبير من الأسلحة، والتي امتلكها البدو وغيرهم من السكان، وصارت من البضائع التجارية الرائجة في تلك الأوساط .

ولما احتاجت المنظمة الخاصة على المستوى الوطني إلى السلاح، لتدريب المناضلين في صفوف حزب الشعب الجزائري عام 1947، بحثت عن المنطقة المهيأة لجلب السلاح من الجارتين، فكانت منطقة وادي سوف الرائدة للقيام بهذا العمل الشاق،⁽¹²⁾ وقد سبق لمناضليها أن أسسوا أول خلية للحزب سنة 1943، فكانت جهودهم تلبية لأوامر قيادتهم، واستطاعوا القيام بالمهمة على أكمل وجه، وزودوا المنظمة بشحنات كبيرة من الأسلحة المتنوعة، والتي نقلت تباعا إلى الزاب، ومنطقة الزرايب، ومنها إلى الأوراس، بواسطة شتى الوسائل من قوافل الجمال، والشاحنات والحافلات.

ولما تم الاتفاق على تفجير الثورة، وحددت المواقع المستهدفة بالعمليات العسكرية، استثنيت منطقة وادي سوف لعدة اعتبارات:

أولا: لأنها منطقة مكشوفة، لا تتوفر على أدغال أو جبال تحمي المجاهدين، وتستطيع السلطات العسكرية أن تكشف حركاتهم من خلال آثارهم فوق الرمال، فالتكتيك الحربي والحنكة السياسية تقتضي إبقاء هذا الإقليم رصيда للثورة.⁽¹³⁾

ثانيا: مراعاة البعد الاستراتيجي لوادي سوف، ليواصل نشاطه الثوري في تزويد المجاهدين بالأسلحة، وهذا الدور - أب التزويد بالسلاح - لا يقل أهمية عن تنظيم العمليات، أو تفجير الحرب وخوض المعارك التاريخية، والتي لا يكون لها النجاح إلا بتوفر الأسلحة والذخائر، لأنها العنصر الرئيسي في المعركة مع العدو المدجج بأحدث ما وصلت إليه الصناعات الحربية في الغرب (فرنسا وأمريكا) وغيرها من دول الحلف الأطلسي. وقد أكد المجاهد محمد العربي مداسي، كيف استثنيت المنطقة من طرف قيادة الأوراس: (قرر بن بولعيد وقيادة الأوراس ترك أربع

مناطق خارج الثورة،⁽¹⁴⁾ من أجل التموين بالمواد والأسلحة والأغذية، ولاسيما منطقة الجنوب مع مدينة وادي سوف لأنها تضمن عبور أسلحة ليبيا).⁽¹⁵⁾

ورغم كل التوصيات فان المجاهدين كانوا يسعون من اجل تفجير الثورة - مثل

باقي أرجاء الوطن - إلا أن ظروف الاعتقال للقيادات حالت دون ذلك، وساد الهدوء - في النصف الأول من شهر نوفمبر 1954 - في وادي سوف قاطبة التي كانت تضم العشرات من المناضلين الذين تشوقوا لخوض المعركة التي جمعوا لها السلاح، وكانوا ينتظرون يوم تفجير الثورة بشغف ولهفة، إلا أن الظروف السابقة كبحت جماهم، وأنتهم عن عزمهم، فالتزموا الصبر بكل رباطة جأش، ونفذوا الأوامر بروح أخلاقية عالية، ولكن الصبر نفذ، والظروف تبدلت، والهدوء تحول إلى هدير قوي، اندلعت فيه معركة "حاسي خليفة" التي هزت أركان العدو وأفضت مضاجعه، وتصدى بكل قوة لأبطالها الذين ظهرها فجأة، وضربوا في عمق العدو، وفلوا في عضده، ووصلت أخبارها إلى قادة الثورة، التي أحدثت عندهم المفاجأة، وكان احمد بن بله في ليبيا، ولما تناهى إلى مسامعه خبر المعركة قال: (الله أكبر- وضرب كفيه - ثم قال: أردناها جسرا للتمويل بالسلاح والقوافل، فأصبحت منطقة معارك وسيعمل العدو على تكثيف المعارك بها).⁽¹⁶⁾

3) معركة حاسي خليفة أول معارك الثورة التحريرية:

كانت المعركة في شهر نوفمبر 1954، هامة ومحورية، ومعلما ساطعا في جبين الثورة التحريرية في كامل الوطن:

أ) الظروف العامة قبل اندلاع المعركة:

أولا: كان التحضير للثورة المرتقبة على أشده في مختلف أنحاء الجزائر، وتم التدريب على السلاح وفنون القتال في الغيطان، وبين الكثبان الرملية في ربوع وادي

سوف، خلال الشهور السابقة لموعد الثورة، وكان المجاهد القائد حمه لخضر أعمارة متحفزا ومتشوقا للمعركة، ولكن أعوان الاستعمار وغيونه، اخبروا عن تحركاته، والبسوه تهمه ممارسة السياسة، والمتاجرة بالأسلحة، فالقي عليه القبض، فسجن بالوادي في أواخر شهر أكتوبر 1954، وهذا فوت الفرصة على المنطقة، ومر أول نوفمبر بهدوء.

ثانيا: ظلت المجموعة التابعة لقيادة حمه لخضر تتدرب على السلاح في الأماكن الخالية، في شبه معسكر لإتقان الرماية، وتهيئة ما لديهم من قطع السلاح المتواضعة، ومن جانب آخر، كانوا على اتصال بقائدهم في السجن؛ يزودونه بأخبار الأخبار عن الثورة وأحوال البلاد، وتشاوروا معه في الدفاع عنه لدى السلطات، وإقناعهم ما حدث له مجرد مشاكل عائلية، وخلافات فردية مع بعض الناس، وقد أثمر هذا السعي، فُخِّف عنه السجن،⁽¹⁷⁾ الذي دام عشرة أيام فقط، وأفرج عنه يوم 6 نوفمبر 1954.⁽¹⁸⁾

ثالثا: شرع حمه لخضر في جمع أفراده، واتصل بالمناضلين في قرى سوف، بالرياح بأقصى جنوب المنطقة، والأخرى الشمالية - القرية من مسكنه - بقرى الجديدة والمقرن وحاسي خليفة، لتشكيل قوة كبرى يمكنها ضرب العدو، والمسارة قبل فوات الأوان، حتى تلتحق وادي سوف بالثورة، وتنفذ ما أمكن من عمليات عسكرية،⁽¹⁹⁾ وقد سبق له التخطيط مع مجموعته، بالهجوم على ثكنة الوادي، أو مقر الحاكم العسكري،⁽²⁰⁾ وبقيت تلك الفكرة مسيطرة عليه إلى يوم استشهاده.⁽²¹⁾

رابعا: الشروع في تنظيم دوريات متعددة، توزعت في بعض جهات المنطقة، منذ

منتصف شهر نوفمبر، لبث الوعي الثوري في أوساط المناضلين، وجمع الأسلحة، لأن المعركة تحتاج إلى السلاح الوفير، والذي يمتلكه بعض السكان ولاسيما أعوان الاستعمار وخدامه، واهم الدوريات قبل يوم من المعركة:

- **دورية نحو المقرن:** واتصل أفرادها بالمدعو أحمد ينبوعي لأخذ قطعة سلاح (بندقية) يمتلكها، فوعدهم بتسليمها لهم، وكان هذا في منتصف الشهر، وضرب لهم موعدا للتسليم، ولكنه في اليوم الموالي أخبر السلطات التي وضعت خطة لمتابعتهم.

وتكونت الدورية من المجاهدين: شعباني بلقاسم، عبد الباري عمار، بشير العايب، صوادقية صالح، بلالة بشير، ريغي عبد الرزاق، فاتجھوا يوم 16 نوفمبر، لتسلم القطعة، وعند اقترابهم من منزل ينبوعي لاحظوا مراقبة مشددة من الجنود، وخرج صاحب البيت، وتكر لوعده، فتقدم منه صوادقية صالح، وسلمه إنذارا مكتوبا ومختوما بالخبز الأحمر، أن يسلم القطعة في ظرف ثلاثة أيام، وبعدها انصرفت المجموعة نحو قرية سيدي عون المجاورة، وفي الطريق مرض المجاهد عبد الباري عمار، فتخلف معه مجاهدان، وواصلت البقية طريقها نحو الهدف.

- **دورية نحو سيدي عون:** وتكونت من ثلاثة مجاهدين فقط، صوادقية صالح، والعايب بشير، وريغي عبد الرزاق، وعند وصولهم للقرية، التقوا بالمناضلين، وقدموا لهم توجيهات تخص الثورة، وضرورة مساعدتها والالتفاف حولها، ثم غادروها إلى قرية السويهلة المجاورة. (22)

- **دورية نحو السويهلة:** وكانت بقيادة حمه لخضر، وصوادقية صالح، والعايب بشير، وشعباني بلقاسم،⁽²³⁾ وقصدوا منزل أحد أعوان الاستعمار، المدعو ولد

الواعر أحمد، الذي يملك سلاحا من نوع (ماط) و300 رصاصة، وبمجرد طرق الباب، خرج لهم، ويده مصباح، فكشف حالهم للعدو الذي كان يتربص بهم في جنح الظلام، وحينئذ حدث اشتباك بإطلاق النار من الطرفين، والذي أسفر عن اغتنام أربع بنادق من العدو، وانسحبوا اثر ذلك إلى المكان المتفق عليه من كل الدوريات، وهو صحن الرتم الذي يبعد عن السويهلة بنحو 15 كيلومترا. بهود النخيل الذي تركز به المجاهدون بقيادة المجاهد لمقدم مبروك، واشتغل أفراد مجموعته في تنظيف حوالي 800 رصاصة، والتي تم جلبها من زاوية الشيخ الهاشمي، والتي سبق جمعها من طرف ميهي محمد بالحاج.

ولكن القائد همه لخضر، وبالتشاور مع أفراد، غير من خطته، لعلمه أن قوات العدو سوف تلاحقهم، وهو مصر على ملاقاتهم، لأن إمكانية الانسحاب في الليل تمكنهم من ذلك، فاختار الاتجاه نحو الصحن القبلاوي بحاسي خليفة، وسلكوا عدة طرق لتعمية أنظار العدو، وطلبوا من المجاهد دردوري خزاني توجيه الدوريات⁽²⁴⁾ وقضوا الليل كله في الاستعداد للمعركة، وكلهم حذر من مباغته العدو

(ب) اندلاع المعركة (17 نوفمبر 1954):

لقد أيقن العدو من خلال تحركات الدوريات من المقرن إلى السويهلة، والتوقف بحاسي خليفة، أن الثورة انطلقت بالمنطقة، فسارعت القوات العسكرية بعملية تمشيط ومتابعة، للمجاهدين الذين تحصنوا في الهود، وكانوا يملكون من السلاح تسع بنادق فقط، وعدهم 13 مجاهدا،⁽²⁵⁾ فانتظروا للرد على العدو، في معركة فرضت عليهم، والتي قادها همه لخضر، فقام بتوزيع أفرادها بشكل هلاكي فوق

الكثبان الرملية في جهة الشرق، وفي أعلى قمة هود اكريمي في الشمال، وكلف المجاهد خزاني دردوري - الذي يعرف المنطقة جيدا - بمراقبة المدخل، ولما رأى تدفق القوات الفرنسية نحوهم، سارع إلى إبلاغ قائده في الميدان، وكان وصول القوات الفرنسية في حدود الساعة العاشرة صباحا، فبادرهم المجاهدون بوابل من الرصاص، أربكهم، ورفع من معنويات المجاهدين الذين تدرّبوا جيدا على القتال في الرمال الصحراوية، وتأقلموا مع مناخها.

أما العدو فقد جند عددا كبيرا من جنوده، فكانت الشاحنات تنقل الجنود بشكل مستمر إلى غاية المساء، فشاركت قوات المشاة المدعمة بسلاح المدفعية، ويتراوح عددها ما بين (300-350) جندي، وتواصل القتال من حدود الساعة الحادية عشرة كأكثر تقدير وحتى حلول الظلام،⁽²⁶⁾ الذي توقف عنده القتال. وأثناء ذلك لم تستطع قوات العدو التقدم رغم ما تملكه من عتاد ورجال⁽²⁷⁾، وهي أول معركة تخوضها في الصحراء، وفرق بين الأجنبي الذي يقاتل ظلما وعدوانا، وأعدائه من القومية الذين يخشون الموت، وبين المجاهدين في سبيل الله الذين يحملون أرواحهم فوق أيديهم، ويرجون النصر أو الاستشهاد .

ج) النتائج الأولية للمعركة: انتهت المعركة بالنصر، وأسفرت عن بعض النتائج

الأولية، منها:

- لم يخسر المجاهدون أي فرد من مجموعتهم، ما عدا المجاهد شعباني بلقاسم الذي أصيب بجروح بليغة، وأسر من طرف العدو، ونكل به وعذب، وأودع السجن.
(28)

- أما خسائر العدو فكانت عددا معتبرا من الجرحى، نحو 75 قتيلًا، وهذا ما سمعه جريح المعركة (شعباني بلقاسم) من أفواه جنود العدو وأعوانه،⁽²⁹⁾ بينما قدرهم نائب قائد المعركة لمقدم مبروك بنحو 62 قتيلًا.⁽³⁰⁾

3) انعكاسات معركة حاسي خليفة على الحياة الثورية بالمنطقة:

اقتضت المعركة، السرعة الفائقة في الحركة، واتخاذ القرار من الطرفين، وتجلت انعكاساتها فيما يلي:

أ - انسحاب المجاهدين خلال الليل نحو الشمال، ويذكر لمقدم مبروك أن طائرة استكشافية كانت تطاردهم وتقتفي آثارهم، ولكنهم تمهوا، واصلوا طريقهم إلى العريش، ثم بئر زحيف الذي يبعد عن حاسي خليفة ب 70 كلم،⁽³¹⁾ ومنها إلى منطقة الشط، وتوقفوا بمكان يدعى الزرق، وتناولوا التمر والماء، ولاحقتهم قوات العدو على متن مهاري مخزن الوادي، وتم تبادل إطلاق النار من فرقة القومية، ولكن المجاهدين انسحبوا بسلا، حين التحنوا - في تلك الأرض المكشوفة - إلى مكان يدعى الغدائر، به الحشائش والأشجار،⁽³²⁾ ومنها تابعوا السير إلى معاقل الثورة بجبل زريف في منطقة النمامشة بضواحي تبسة، واختلطوا بإخوانهم المجاهدين، برعاية قائدهم حمه لخضر.⁽³³⁾

ب - كنف العدو عمليات المراقبة، ومتابعة أخبار المجاهدين، وتتبع آثارهم، ولاسيما في الآبار المحيطة بالمنطقة،⁽³⁴⁾ بواسطة قوات مخزن الوادي، التي تمسح بالمنطقة الممتدة في الحدود الجزائرية التونسية، والتي تصل إلى غدامس وغات الليبيتين، والمتاخمة لوادي سوف في الناحية الجنوبية الشرقية.⁽³⁵⁾

ج) القيام بحملة اعتقالات واسعة، مست عائلات المجاهدين، وباقي السكان المشتبه فيهم، وسلط عليهم التعذيب، والعقوبات بالسجن، ما بين 3 إلى 5 أشهر، وخاصة منهم خمسة عشر مواطنا هم: السيد لخضر قابوسة، لمقدم علي، داسي محمد، شعباني خليفة، محمد لخضر المدعو (أعمارة العيد) بلالة علي، بلالة العربي، شعباني خليفة (والد أسير المعركة شعباني بلقاسم)، عمارة علي، عمارة

محمود، عمارة أحمد، خديجة (زوجة حمه لخضر قائد المعركة) المولدي بريك، دردوري معمر، إبراهيم لعبيد. (36)

د) اصطدم حمه لخضر ومن معه في منطقة تبسة وما جاورها من جبال، بالخلافات الحادة بين مجموعات المجاهدين، وتعدد القيادات، (37) وحينما كان مصطفى بن بولعيد في طريقه نحو ليبيا لجلب السلاح، مر بتلك الجبال واطلع على الوضع السيئ والخلافات الحادة بين المجاهدين، فبعث برسالة إلى خليفته على قيادة الأوراس، بشير شبحاني (... يطلعه فيها على شقاق كان بين "الزهر شريط" و "محمد لخضر السوفي"، وعبد المالك. " وبلقاسم بوقرة، وهم كانوا ضباطا في جيش التحرير التونسي، وقد رجعوا إلى الجزائر، فالتقى بهم ابن بولعيد في طريقه إلى المشرق بتبسة حيث أدرك بأن لا بد من جمع شملهم لتقوية صفوف الثورة). (38)

وقد استعجله أن يتنقل لعين المكان لاتخاذ القرار الصائب، وتم فعلا اجتماع في أوائل 1955 بوادي مطره بالجبل الأبيض حضره كل من شبحاني بشير، عباس لغور، والبشير ورتان "سيدي حني" عاجل عجول، والأزهر شريط، حمه لخضر، والجيلاني بن عمر، ووزعت المهام كما يلي:

- أحمد بن عبد الرزاق حمودة "سي الحواس" يتولى قيادة المنطقة الثالثة.
- عباس لغور والحسين برحاييل يتوليان قيادة ناحية خنشلة.
- محمد مسعود بلقاسمي مسئولاً على ناحية مشونش.
- عمار بلعقون وأحمد نواورة يتوليان ناحية آريس.
- محمد لخضر عمارة "حمه لخضر" ومبروك مقدم يتوليان قيادة منطقة وادي سوف.
- الجيلاني بن عمر مسئولاً عن مناطق الحدود الليبية التونسية.
- لزهو شريط يتولى مسؤولية منطقة "أم الكماكم". (39)
- وقد مكن - هذا التكليف - حمه لخضر من كسب الشرعية الثورية، في التحرك بالمنطقة، وقيادة المجاهدين في الدوريات العسكرية، ومواصلة جمع الأسلحة.

هـ) صار همه لخضر يتلقى الأوامر من القيادة، بالتوجه إلى وادي سوف لجمع الأسلحة، وقد كلفه قائد الأوراس شيهاني بشير، رفقة سبعة من المجاهدين، الذين توجهوا إلى وادي سوف، واضطرتهم الظروف إلى خوض معركة صحن الرتم يوم 15 مارس 1955، وقد وصل عدد الجنود بعد التجنيد في الميدان إلى 22 مجاهداً، استشهد منهم ثمانية في المعركة.⁽⁴⁰⁾

- الخاتمة:

تعتبر الحركة الوطنية الجزائرية مدرسة كبرى في النضال من أجل التحرير والسعدي الدؤوب للحصول على الاستقلال، وأدرك المناضلون هذا البعد، فقاموا بالعمل، وكانوا على أهبة الاستعداد، حين دقت ساعة الثورة المسلحة التي فجرت في حينها في معظم أنحاء الوطن.

وكانت وادي سوف في موعد مع التاريخ، ولكنه تأخر لعدة أسباب موضوعية، وتوج بعمل جبار جسده أول معركة في سجل الثورة الجزائرية.

- لقد كانت العمليات العسكرية في فاتح نوفمبر، عمليات على شكل هجوم مباغت، واشتباك قصير، وانسحاب، بعد تحقيق الهدف، وهو إثبات الوجود، وإشعار المستعمر بانطلاق الثورة، عن طريق تخريب المنشآت، والانتقام من أعوان الاستعمار وقادتهم.

- كان همه لخضر أعمارة يخطط للقيام بأعمال ثورية، رغم توصية القيادة، بترك المنطقة رصيذا استراتيجيا لجمع السلاح، وجلبه من الخارج، وتزويد المناطق بالسلاح الذي يمثل عصب الثورة وعمودها الفقري، لكن إصراره، اعتراه التأخر، لأنه وقع في قبضة المستعمر، وتعرض للسجن، ولم يخرج منه إلا في الأسبوع الأول من نوفمبر، وحينها لم ينتظر، وسارع ينظم دورياته، ويلم بثمل المناضلين، ويجمع السلاح، إلا أن تحركاته كُشفت من طرف العدو، والذي تصدى له بقوة، وتحول ذلك إلى معركة حامية الوطيس.

- رغم أن معركة حاسي خليفة، كانت في النصف الثاني من شهر نوفمبر، ولم يُعد لها الإعداد الكافي، بل اضطرتهم الظروف إلى خوضها بشجاعة وإقدام، إلا أنها

كانت أول معركة دامت يوما كاملا في صحراء مكشوفة، أثبت فيها المجاهدون مقدرتهم العالية في الحرب، وإدارة المعركة بنجاح، وتحقيق النصر المطلوب، والانسحاب بأمان، ولم يخسروا أفرادهم، ولقنوا المستعمر درسا عمليا في الجهاد، وأعلنوا عن التحاق وادي سوف رسميا بركب الثورة التحريرية، لتتأزر مع باقي المدن الجزائرية، ويلتقي الجميع في الجبال على قدم المساواة في الجهاد والوطنية والألفة.

- كانت انعكاسات المعركة مكلفة للسكان الذين وقعوا في حصار، ومتابعة، وتعرضت عائلات المجاهدين للتضييق والتعذيب والسجن، وتعدى ذلك إلى مراقبة الآبار على امتداد الصحراء المتاخمة لوادي سوف، ولكن المجاهدين كسبوا شرعية عسكرية، وتم تكليف قائد المعركة بالنشاط في كامل ربوع وادي سوف، وهذا شجعه على العودة بعد أربعة شهور، ليخوض معركة أخرى، ويكبد العدو خسائر، ويحقق الانتصار الثاني، ويبعث في المنطقة روحا ثورية، وجزوة تتقد حيوية ونشاطا في الكفاح المسلح.

وعموما فإن معركة حاسي خليفة، توجت سجل الكفاح في تاريخ الثورة التحريرية، وكانت أول معركة حاسمة، في الوقت الذي عجزت فيه بعض المناطق من تنفيذ العمليات المبرمجة في أول نوفمبر، وظلت مدة أطول وهي تحاول إثبات وجودها الثوري في تاريخ الكفاح الوطني.

الهوامش والإحالات:

- 1) أحسن بومالي: إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954 - 1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، (د ت)، ص ص 97 - 99.
- 2) محمد العيد مطمر: فاتحة النار : العقيد مصطفى بن بولعيد، دار الهدى، عين مليلة. الجزائر، 1990، ص 26.

- 3) محمد لحسن ازغيدى: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 - 1962، المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر، 1989، ص 69.
- 4) محمد العيد مطمر: حامي الصحراء : احمد بن عبد الرزاق حمودة " العقيد سي الحواس، دار الهدى، عين مليلة. الجزائر، (د ت)، ص 37.
- 5) محمد العربي الزيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، ط1، قسنطينة. الجزائر، 1984، ص ص 131 - 132.
- 6) محمد لحسن ازغيدى، المرجع السابق، ص 70.
- 7) محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 136.
- 8) عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، دار البعث، ط1، قسنطينة. الجزائر، 1991، ج1، ص 216.
- 9) أحسن بومالي، المرجع السابق، ص 99 .
- 10) Mohamed Larbi Madaci : **Les Tamiseurs de Sable Aures - Nemamcha 1954 - 1959** , ANEP ,Alger ,2008, p 35.
- 11) محمد العيد مطمر، فاتحة النار، ص29.
- 12) علي غنابزية: "الدور الاستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية" - في - مجلة البحوث والدراسات - المركز الجامعي بالوادي، العدد التاسع، يناير 2010.
- 13) صرح بذلك المجاهد البشير بوغزالة يوم 27 أبريل 1995 في الذكرى 38 لشهداء مجازر رمضان 1957 بالوادي، والتي نظمت من طرف الجمعية الوطنية الثقافية محمد الأمين العمودي، والأمانة الولائية للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء بالوادي، بدار الثقافة بالوادي.

14) المناطق الأربع هي وادي سوف للتموين بالأسلحة، والمنطقة المتكونة من تامزة وقايس لتزويد الثوار بالأغذية، وكذلك شجرة وخنشلة لنفس الأسباب.

Mohamed Larbi Madaci , Op-Cit, p 20.15

16) المجاهد علي عون أبو موسى: مساهمة وادي سوف في تفجير ثورة التحرير بالأسلحة والعتاد والرجال، محاضرة قدمت بدار الثقافة بالوادي يوم 1992/5/1. توجد ضمن مدونة محاضرات الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي، ماي 1992.

17) عوادي عبد القادر: معارك الثورة التحريرية بمنطقة وادي سوف (من العمل السياسي إلى الكفاح المسلح 1948-1962)، لقاءات موثقة مع المجاهدين، مخطوط، يوجد لدى صاحبه بتاغزوت، ص ص 62-63.

18) لما أصر حمة لخضر على تفجير الثورة في حينها مثل بقية المدن الجزائرية، وخالف القيادة في تصورها، دبرت له القضية، وادخل السجن في 26 أكتوبر 1954. أنظر: محمد حسن زغيدي: شخصيات نموذجية، منشورات الحر، ط1، الجزائر، 2009، ص 130.

19) عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 64.

20) علي عون أبو موسى، المصدر السابق.

21) محمد حسن زغيدي: شخصيات نموذجية، ص ص 131-132.

22) العمارة سعد، عون علي: معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص ص 15-16.

23) عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 64.

24) العمارة سعد، عون علي، المرجع السابق، ص ص 16-17.

25) أسماء المجاهدين المشاركين في المعركة هم: 1 - أعمار محمد الأخضر(حمة) لخضر قائد المعركة، 2 - لمقدم مبروك، نائبه، 3 - صوادية صالح، 4 - شعباني

- بلقاسم، 5 - عبد الباري عمار، 6 - دردوري خزاني، 7 - العايب بشير، 8 - بلالة البشير، 9 - شراحي مصباح، 10 - داسي العربي، 11 - فرجاني العربي، 12 - ريغي عبد الرزاق، 13 - عبد القادر الوصيف. أنظر: العمامرة سعد، عون علي، المرجع السابق، ص ص 13-14.
- (26) عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 67-68.
- (27) العمامرة سعد، عون علي، ص 17.
- (28) بقي في السجن مدة أربع سنوات، ولما أطلق سراحه، عاد إلى جيش التحرير. أنظر: عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 68.
- (29) أنظر: العمامرة سعد، عون علي، ص 17.
- (30) عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 68.
- (31) نفسه، ص 68.
- (32) العمامرة سعد، عون علي، ص ص 17-18.
- (33) محمد لحسن زغيدي: شخصيات نموذجية، ص 134.
- (34) أنظر مذكرات المجاهد إبراهيم معتوق، مخطوط.
- (35) علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882-1954، رسالة دكتوراه، قدمت بجامعة الجزائر، 2009، غير منشورة، ص 128.
- (36) عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 69.
- (37) أنظر مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2000، ص ص 14-47.
- (38) محمد الطاهر عزوي: شهرة معارك الجرف في السنة الثانية للثورة الجزائرية، محاضرة قدمت في الملتقى الوطني الأول باتنة سنة 1989 - في - مدونة بعنوان " معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954 " إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس(باتنة)، مطبعة قربي، باتنة - الجزائر، 1992، ص 114.

- 39) محمد العيد مطمر: العقيد محمد شعباني وجوانب من الثورة التحريرية الكبرى، دار الهدى، ط1، عين مليلة. الجزائر، 1999، ص ص 54-55.
- 40) العمامرة سعد، عون علي، المرجع السابق، ص ص 19-25.